أنثى الصحراء ورحلة التمرد من الهامش إلى المركز–مقاربة موضوعاتية لرو اية "المتمردة "لمليكة مقدم

The femal of the desert and journey of rebellion from the margin to the center - a thematic approach to rebellious novel by Malika mokeddem -

جنات زراد1،*

1جامعة تبسة،(الجزائر) djanette.zerrad@univ-tebessa.dz

تاريخ الإيداع: 2021/08/11 **تاريخ المراجعة**: 2021/10/14 **تاريخ النشر**: 2021/12/30

ملخص:

يسعى هذا البحث للكشف عن وضع المرأة في الصحراء الجزائرية، الذي لم يكن مختلفا عما كان عليه في العالم العربي وفي مناطق أخرى من العالم، حيث مر هذا الوضع عبر التاريخ بمراحل من القهر والتمييز العنصري، مما أدى إلى خضوع المرأة مرغمة لقيود صاغها لها الرجل المتحكم في مصيرها، حيث شكلت قضية المرأة وهويتها سؤالا وجيها ضمن أسئلة الباحثين والدارسين، خاصة المرأة الصحراوية التي تعاني إقصاء وتهميشا مزدوجا على مستوى الزمان والمكان في ظل المجتمع الصحراوي المنغلق الذي يعتبر مجتمعا هامشيا مقارنة بالمجتمعات المركزية الكمالية .

وقد تناولت رواية المتمردة لمليكة مقدم موضوع المرأة الصحراوية وصراعها من أجل الحصول على حريتها وإثبات وجودها.

الكلمات المفتاحية: المرأة، الصحراء، التمييز، الهامش، المركز.

***Abstract*:**

This research seeks to uncover the situation of woman in the Algerian desert, which was not different from the woman situation in other parts of the world, as this situation has passed throughout history by stages of oppression and racial discrimination, which led to the subjugation of the woman against her will to restrictions formulated by the man, where the woman's issue and her identity was a fundamental question within the questions of researchers and scholars, especially the desert woman who suffers exclusion and double marginalization at the level of time and space, in the light of the closed desert society which is considered a marginal society compared to the perfect central societies, The novel of rebellious for Malika. M dealt with the issue of the desert woman and her bitter struggle to obtain her freedom and prove her existence.

Keywords: *woman, desert, discrimination, margin, center***.**

* المؤلف المراسل.

تقديم:

رواية المتمردة عبارة عن سيرة ذاتية للكاتبة الجزائرية "مليكة مقدم"، ترصد فيها رحلة القهر والتمرد التي عاشتها الكاتبة انطلاقا من صحراء الجزائر وصولا إلى مدينة باريس بفرنسا، وهي رحلة مضنية تمتزج فيها الحرية والحلم بالألم والمعاناة في سبيل تحقيق حلم الانعتاق والخلاص وتجسيده على أرض الواقع وإثبات الذات، إنها رحلة تمرد على الحياة المزرية في بيئتها الصحراوية الضيقة المنعزلة عن العالم والحياة، والتي تعاني من التخلف الكبير والانغلاق إلى درجة تبعث على الشفقة والأسف، سعيا منها للخروج إلى أفق الحرية والنور والتخلص من السيطرة المفروضة عليها من قبل الآخر، في مجتمع بطريكي أفقد المرأة القدرة على الحلم والحياة وعفّر كرامتها بالتراب، وجرّدها من كل حقوقها الإنسانية .

أولا: أهم قضايا الأنثى التي عالجتها رواية المتمردة :

عالجت رواية المتمردة لـ"مليكة مقدم" العديد من القضايا الخطيرة والحساسة التي تهم الأنثى بالدرجة الأولى في مجتمع ذكوري متسلّط متخلّف ينظر إلى المرأة نظرة دونية واعتبرها كائنا من الدرجة الثانية وسلبها أبسط حقوقها ككيان وكإنسان لا يختلف عن الرجل سوى في التركيبة الجسدية والنفسية، ومن بين أهم القضايا التي وردت في الرواية نجد:

1-1قضية الأنثى والحرية:

تعد قضية الحرية من أهم القضايا التي شغلت الباحثين والدارسين على مر الزمان، حيث تشكل الحرية جوهر الإنسانية بصفة عامة، وهي ضرورية للرجل والمرأة على حد السّواء، للإحساس بالوجود والذات والآخر، ولا تتحقق كرامة المرأة وقيمتها إلا من خلال امتلاكها لذاتها وكيانها، وقدرتها على تقرير مصيرها واختيارها لأسلوب حياتها وممارساتها اليومية دون قيد أو شرط، و دون خوف أو خجل أو سيطرة من قبل أحد، وتسعى المرأة جاهدة لإثبات ذاتها والقضاء على الثقافة الذكورية السائدة في بعض المجتمعات التقليدية، والنظرة الاستعلائية الاقصائية التي ينظر بها الرجل إليها في كثير من الأحيان، فحرية المرأة تعني "أن تمتلك روحها وجسدها وكل ما يتعلق بها، مثل اختيار نمط حياتها واتخاذ قراراتها وتحديد مصيرها وهدفها في هذه الحياة وتكون هي المسؤولة الوحيدة عن نفسها دون وصاية "[1]

وتؤكد البطلة في رواية "المتمردة" .والتي لم تذكر الكاتبة اسمها لكونها ترمز لكل امرأة مضطهدة تعيش الوضع نفسه ـ استمرارها في البحث عن الحرية والتحرر من الضغوطات التي تمارس عليها، وتحولت القضية بالنسبة إليها إلى موضوع تحدي محوره (الأنا)، وارتكزت حوله في رحلتها وبحثها عن الحرية وانتقالها من مجتمع الهامش إلى مجتمع المركز.

رأت البطلة في فرنسا ملاذا آمنا ومنقذا ومتنفسا لها، والمكان الذي يجسّد الحرية المطلقة دون قيود أو ضوابط اجتماعية أو أخلاقية، تحررت فيه من كل وصاية وسلطة ذكورية، وعادات وتقاليد بالية تحد من حرية المرأة وتحط من قيمتها، عكس مجتمع الصحراء في جنوب الجزائر الذي بدا لها مثل السجّان الذي يطبق على أنفاس الأنثى، ويعد عليها حركاتها وسكناتها، وفي نظرها ما هي إلا نسق ثقافي مغلق ومتعصب.

وبالمقابل رأت ثقافة الصحراء الجزائرية في الكاتبة أنثى غريبة متمردة على كل شيء وفي كل ما تريده، فأفكارها جريئة مخالفة لعقائد ودين وعادات وتقاليد وثقافة هذا الفضاء القاحل الذي لا ينبت سوى الجدب والحر والقحط وكثير من الذل والاضطهاد، وهذا ما أدى إلى حدوث قطيعة بينهما فناصبته العداء وأعلنت كرهها له وتمردها عليه، وكم تمنت أن تثور على هذه الثقافة وتمنح الحرية للجميع، تقول:" "أفكر بالحرب بالإذلال الذي أشاهده وأنا متوجهة إلى المدرسة، أحلم باستقلال بلادي وبالحرية الجماعية "[2]

لا يعني أن تعيش البطلة في فرنسا موطن الحرية والملذات والراحة والرفاهية أنها في غني عن بلدها الجزائر وصحرائها، فحنينها وغربتها في فرنسا يدفعان بها الي الكتابة عن صحراء الجزائر والحرية التي تحلم أن تنالها بلادها، رغم أنها عانت التميز العنصري بين الجنسين والإحباط النفسي والقلق الوجودي والقهر.

كانت رغبة البطلة في الحرية قد أخرست كامل مشاعرها وأحاسيسها وسيطرت على عقلها وتفكيرها، فالبحث عن الحرية والانعتاق في ظل مجتمع استبدادي يضطهد المرأة ويقزم دورها ويحصره في الزواج والإنجاب وخدمة العائلة، ولا يؤمن بقدراتها واستقلاليتها شكّل دافعا قويا للكتابة وتحديها لعادات وتقاليد هذا المجتمع، تقول: "حياتي وقراراتي مرتكزة على ذاتي لا على قوى خارجية من أي نوع كانت، أرغب أن أكون أداة لأفعالي الصادرة عن إرادتي لا عن إرادة غيري، وأن أكون فاعلا لا منفعلا"[3]، فالحرية بمفهومها البسيط لدى البطلة تحمل معنى القدرة على اتخاذ القرار والإرادة بعيدا عن آراء وانتقادات الطرف الآخر، والتي سعت إلى تحقيقها منذ الصغر فهي عانت الويلات في طفولتها فالكل كان يتحكم في مصيرها، "الأب، والمجتمع، والحروب الأهلية في هذا المكان الخانق بصرامة التقاليد"[4].

وقد ترسخت في ذهن البطلة فكرة التخلص من كل ما يعيق حلمها وأملها وقد رأت في الصحراء مقبرة لأحلامها وطموحاتها وفكرها، وتحطيما لوجودها وكيانها، والهروب والابتعاد عنها هو بمثابة اللجوء الي الحياة خوفا من الموت ظلما وعدوانا، فتقول عن هجرتها من الجزائر: "لم أهجرها عن رفض أو تذوق للمغامرة لقد قطعت نفسي عنها لكي لا أموت"[5]، إذ أصبحت تمثل صحراء الجزائر تمثل لدى البطلة المنفى والغربة وموطن الموت والعذاب، لذا كان لابد من هجرها كي تجد حريتها المفقودة، فقد تمردت البطلة وهجرت ورفضت وقاومت كل ما يشكل سدا منيعا في طريق حريتها، بداية من أسرتها التي قطعت الاتصال بها لسنوات طويلة، بهدف الابتعاد عن كل شيء يقيدها ويقف حائلا بينها وبين طموحها في أن تصبح طبيبة وكاتبة حرة ، ورائدة من الرائدات المدافعات عن حقوق المرأة في الجزائر خاصة والوطن العربي بصفة عامة.

2-1 قضية الأنثى والتمييز العنصري:

عانت بطلة الرواية في حياتها من التمييز العنصري فكان في بادئ الأمر داخل أسرتها، وقد لمسته في أقوالهم وأفعالهم والسبب في ذلك يعود لكونها أنثى ، فكانت نكرة ومقموعة من طرف الأب، وقد حزّ هذا الأمر كثيرا في نفسها وأقض مضجعها وحرمها لذة الحياة، بدل أن يمنحها الثقة والقوة والأمن والأمان للعيش بسلام داخل أسرتها، فالأعراف القبلية في الصحراء أقصت المرأة وغيبتها ولم تعترف بدورها في الحياة الاجتماعية، إذ ترى أن دور المرأة يقتصر على إثارة الحس والشهوات وأنها موضع "دلال وغنج وملاطفة"[6] لا أكثر ولا أقل، وهذا ما خلف شرخا عميقا في روحها، وجراحا وندوبا في أعماقها، وأصابها بتشوه نفسي بعيد الغور، في المقابل تبقى

مقاليد الحكم بيد الرجل وجده، وهو الآمر الناهي داخل بيته وأسرته و المجتمع بأسره، والمرأة هي الخادم المطيع الذي لا يشق عصى الطاعة في يد سيّده الطاغية، تقول بطلة الرواية: "أما أنا فلا حق لي في شيء من كل هذا وما عليّ إلا أن أخدم وأن أذعن وأن ألوذ بالصمت"[7].

حيث تحيلنا الكاتبة إلى العقلية الرجعية التي كانت سائدة داخل المجتمع الصحراوي والجزائري بل والعربي بصفة عامة آنذاك، والتي كانت تري أن الأنثى ليس لها الحق في التذمر ولا يحق لها أن تبدي ردة فعل تجاه أي شيء فرض عليها، ومن خلاله سعت البطلة إلى كسر هذا القيد الذي كبّلها كونها أنثى، وكأن جنسها ذنب أو وصمة عار وخطيئة عليها أن تتحمل نتائجها طول حياتها، إذ لا تعترف شرائع الصحراء وقوانينها بوجود المرأة وكيانها، وأنها عنصر إيجابي وفعال داخل المجتمع، ولها حقوق وعليها واجبات، لها الحق في التعلم والتعليم والنجاح مثلها مثل الرجل، لها الحق في الاختيار وفي الرفض والقبول، وفي هذا السياق تسترجع البطلة قول والدها عندما تفوقت في الدراسة: " " كنت الأولى في قسمي الدراسي، وكنت فخورة جدا بأن أري نقاطي لأبي، هذه الأرقام يعرف أبي قراءتها....أبعد دفتري من مجال رؤيته وقائلا: لا داعي لهذا التعب فأنت لست ولدا يا ابنتي"[8]. لقد كسر قلبها وحلمها بالنجاح والتفوق وقضى على براءتها وفرحتها الأولى.

خلفت هذه العبارة أثرا عنيفا في نفسية البطلة، فهي لا تري من كلامه الا احتقارا وتصغيرا من شأنها وتمييزا عنصريا مقيتا كونها أنثى، وأحسّت نفسها محرومة من جميع حقوقها، فامتلأت حفيظتها حنقا على نفسها وعلى قدرها وعلى المجتمع بأسره، وقررت الانتقام والثأر لكرامتها المهدورة ، تقول: "أحسست كل جسدي يتصلب ويهيج. كان نظري أسودا، اجررت في رأسي هذه الفكرة ((سوف ترى..سوف ترى))، ولكنني ظللت صامتة من الشقاء وأنا أستلقي علي فراشي، كنت اخترع لنفسي كل مساء، حياة قادرة على سحق هذا الازدراء، وأصر على حصولي غلى حق الوجود، بشكل كامل إن لم أحصل على"[9].

عاشت بطلة الرواية بين إخوتها منبوذة ومسلوبة الإرادة، تعاني الحرمان من أبسط أمور الحياة، فلم تحض بحب الأم ولا بحنان الأب، عكس إخوتها الذكور الذين نالوا كل الحب والحنان، فقد حرمت منذ الصغر من حضن أمها والإحساس بحبها وبالأمان والاطمئنان في كنفها، تقول:" أخي الأصغر هو الذي يمتلك احتلال حجرها"[10].

ثارت البطلة على كل ما هو تقليدي ذكوري ومن أجل ذلك سافرت إلى فرنسا بحثا عن ذاتها وعن حرية لطالما حلمت بها، ولكن لحقتها تلك اللعنة فحتى في فرنسا وجدت التمييز العنصري البغيض والتفريق المقيت، فهناك لم تسلم من انتقادات المجتمع الفرنسي، فهم يرونها أنها أقل منهم شأنا لأنها كما تقول: " أنا برونزية اللون وامرأة ولست بنت أقطاب الجنوب[11].

فقد سلطت الكاتبة الضوء على قضية مهمة في روايتها وهي التمييز العرقي والجنسي، فقد أحست بالتمييز والعنصرية فقط لأنها امرأة وليست بيضاء البشرة ودخيلة على المجتمع الفرنسي، ولم تحس بينهم إلا بالاغتراب والتهميش والاقصاء، ولأنها ليست واحدة من أصلهم يرون أن العمل حكر عليهم فقط، تقول: "هؤلاء الناس في آخر المطاف يقدمون لك خدمة من خلال الإفصاح على أنك لست من عالمهم"[12]، فالنظرة الدونية القاصرة للمرأة واحدة في مختلف أصقاع الأرض، وعلى الرغم من نجاح بطلة الرواية وتفوقها في دراستها إلا أن

النفوذ والسيطرة كان لأصحاب الأرض والمال، ولم تجد ما تبحث عنه في غربتها ولم تمكنها شهاداتها من الحصول على مهنة حسب رغبتها وإرادتها وتحقيق كل ما حلمت به سواء في الجزائر أو فرنسا، إذ تحتل المرأة دائما المرتبة الثانية رغم نجاحها وانتصاراتها وحقد الرجل عليها واحد، تقول: "كان رئيس القسم الذي أعمل به مغرورا ويكره المرأة فهو يباهيهم بكونه من عائلة ملاكين عقاريين كبار"[13].

فقد لعب التمييز العنصري في حياة الشخصية البطلة دورا هاما مما أدخلها في دوامة أفقدتها توازنها الطبيعي داخل ركام العادات والتقاليد والطبقية والتمييز، والذي كان حائلا أمام طموحاتها ورغباتها، فهي تحمل في طياتها خيبات الأمل و كثيرا من الجروح وصور باهتة من ذكرياتها المريرة في صحرائها البعيدة، بالإضافة إلى الجهلة وبعض الاصوليين الذين تنكروا لحق المرأة الجزائرية وحضروا الحلم بالنسبة لها.

وتنتفض البطلة في كثير من الأحيان وتحاول أن تحطم قيد التمييز العنصري وتزرع بداخلها بعض الأمل في شكل رثاء لبقايا زمن مضى ولن يعود، ولم تزدها أيام البعد عن العائلة والأهل والبلد إلا وجعا وكرها لها واغترابا عن محيطها، فبحلول الليل واختلائها بنفسها تتسارع إلى ذهنها صور طفولتها المشردة والممزقة، تقول: "فتحت عيني وأنا مربوطة مثل عنزة إلى دعائم صهريج صدئة"[14]، حيث تسترجع البطلة ماضيها بمرارة وهي ناقمة وثائرة على ذلك الواقع الذي عاشته من قبل، فهي عكس بنات تلك الفترة اللاتي رضين بأوضاعهن، فقد ثارت وغيّرت ورفضت وصمدت وتحدت وجاهدت في سبيل نيل حريتها وإعادة الاعتبار لذاتها وكسرت أغلال الذل والقهر التي فرضها عليها المجتمع واختارت وضعا يناسبها كإنسان وكأنثى لها كيانها وطموحاتها ومستقبل مشرق ينتظرها.

كان حلمها الكبير وشخصيتها القوية دافعين للتغيير، فلم ترضخ للنواهي والأوامر التي ضيقت عليها الخناق وسيّجت حريتها بسياج فولاذي، وهذا يدل على أن المرأة عندما تحرم من أبسط حقوقها تتفجر براكين الغضب بداخلها وتتطاير حمم الحقد على كل من حولها فتحرقهم وتدمرهم، فتسعى للتغيير ولو على حساب زوجها وأهلها وبلدها ومجتمعها ككل، فهي لا تعترف بالهزيمة بل تبحث دائما عن الحلول المناسبة لوضعها، وتعويض النقص الذي تشعر به وذلك بنجاحها الباهر في مجال الطب والكتابة وحصولها على جوائز كثيرة وافتكاك الاعتراف من المجتمع الذي اختارته بمحض إرادتها، وتجاوز مفهوم الطبقية والتمييز العنصري والظلم والقهر وإحلال السلام بداخله، لقد صنعت عالمها بنفسها ولكنها دفعت الثمن غاليا جدا.

3-1 قضية الأنثى والوطن:

كان للأوضاع السياسية في الجزائر خلال الفترة الزمنية الماضية التأثير الجلي في متون ومضامين الفنون الإبداعية، وهذا ما نجده واضحا في رواية "المتمردة"، فأمام تشنج أوضاع البلاد السياسية لجأت البطلة إلى ترك الوطن وهاجرت إلى بلد أجنبي مختلف كل الاختلاف عن بلدها، وذلك بهدف الحصول على الشعور بالأمان والطمأنينة وإعادة بناء ذاتها وتحقيق وجودها، وقد مثلت لها فرنسا المنفي الاضطراري الذي فرضه عليها الواقع وسلطة الأعراف البالية في صحراء الجزائر، ولكن رغم الهجرة والغربة التي عانتها البطلة إلا أن الحنين للوطن ظل يراودها نحو الأرض التي نمت وترعرعت فيها.

لم تذكر بطلة الرواية موضوع هجرتها عبثا، بل له دلالة على حالة الحنين والشوق للجزائر فتقول: "لقد هجرت عائلتي والصحراء وغرامياتي الجزائرية والبلد "[15]، فرغم سفرها وبعدها إلا أن هناك خيط شعوري رفيع يشدها دائما إلى الوراء، ويخلق في نفسها حنينا وشوقا وإن هي أنكرته ورفضته ظاهريا إلا أنها متمسكة به في أعماقها، فبقيت البطلة تتابع أخبار وطنها الذي ابتعدت عنه مدة ثلاث عشرة سنة، مما جعل حالتها النفسية مضطربة ومتذبذبة، تنوس بين الرفض والقبول، بين الكره والحب لبلدها، ورغم الجراح التي مازالت لم تندمل إلا أنها ما زالت تكتب عنها، تقول: "أكتب رواية – روايتي الرابعة – هجائية حول الجزائر"[16].

كتبت البطلة عن أرضها وصحرائها رغم بعدها عنها وتابعت أخبارها وانفعلت معها، فقد قدمت الصورة النموذجية للمرأة العربية الأصيلة عامة والجزائرية خاصة، التي تساند الوطن وترافق قضيته من أي مكان في العالم ولا يفصلها عن وطنها لا البعد ولا الغربة، وأثبتت أنها ليست جزءا من هامشه كما يري البعض ولكنها تمثله بأكمله برباطة جأشها وصبرها واصطبارها على بعده، وحبها له بإيجابياته وسلبياته، فقد كانت الأحداث التي تمر بها الجزائر تزيد في عذاباتها وتمزق فؤادها، تقول: "المجازر التي تحدث في البلد تزيد من معاناتي الأخرى"[17]، فهي فارقت وطنها بالجسد لا بالروح، بل ظلت تحمله معها في قلبها في كل مكان تحل به.

أضيف إلى ألم البطلة ألما آخر وهو فراقها عن زوجها، والتحدي الذي رفعته في مقالتها حول الجزائر فتح عليها النار وجلب لها العديد من المشاكل والأزمات، خاصة من طرف المعارضين لكتاباتها عن الوطن، وتعرضت للتهديد بالقتل من طرف الأصوليين الذين يرون في كتاباتها ودفاعها عن وطنها وعن الطبقة المقهورة من الشعب، جرما وجب أن تعاقب عليه، تقول أن: "الأصوليين يهددون بأن يقتلوا بحد السيف من يرتكب الإثم بالقلم، وأنا واحدة من الذين حين يكونون مسمّرين على صفحة أو على شاشة كمبيوتر، يردون عبر طعن لاذع على خراب الحياة، على جنون السكاكين وعلى رقصات الكلانشيكوفات ، فقد تفاقمت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الجزائر، بالإضافة إلى الفساد الذي شمل كل القطاعات في تلك الفترة، وهذا ما جعل البطلة تنظر إلى الجزائر على أنها وحش يأكل الأفراد، ولكن هذا لا يمنعها من العودة بذكرياتها وخيالها إليها وإلى أهلها هناك، وتعلن عن شوقها لها وتدافع عنها في فرنسا رغم أنها لم تزرها منذ خروجها منها، فتعود إليها ولهة مشتاقة على أجنحة الحروف والكلمات، فالكتابة هي سبيلها الوحيد للوصول إلى الجظائر الحبيبة، تقول: "في نهاية هذه العودة إلى الجزائر عبر الكلمات - لن تطأها رجليا منذ رحيلي عنها-"[18].

إذ مثّل السفر والهجرة نافذة الأمل للبطلة للتخلص من جحيم الواقع المتعفن في صحراء الجزائر (الهامش) الذي قام بفرضه الجهلة وبعض الأصوليين والمجتمع الذكوري المنغلق الذي همشها وأقصاها، وفي المقابل مثّل لها البلد الآخر فرنسا (المركز) الحرية، والإنسانية الحقيقية المتشبعة بالهوية واحترام حقوق الإنسان .رغم وجود بعض الاستثناءات . فالوضع السائد في الجزائر جعل البطلة ت صب جام غضبها على المعارضين والثائرين ضدها ومحاربتهم بقلمها، دون خوف أو وجل.

لم يمنع التهديد بالاغتيال البطلة من الكلام والتصريح عن القضايا المأساوية التي تعيشها الجزائر، وعن الحكم الجائر من طرف الأصوليين والعمل على فضح مخططاتهم وكشفها، فالمقاومة الشرسة والتحدي الكبير الذين أظهرتهما البطلة يعبران عن قوة شخصياتها وصمودها ووقوفها بوجه الظلم والظالم، أثبتت للجميع أنها

من طينة الكبار، وأنها لا تخشى الموت في سبيل نصرة قضية بلادها الجزائر، رغم وصول العديد من التهديدات إليها، فقد جاءتها شاعرة سورية تحمل لها رسالة مفادها أن الأصوليين قرروا تصفيتها، تقول لها: "سيدتي لقد جئت اليوم لأتحدث مع الكاتبة وليس مع الطبيبة(...) من واجبي أن أقول لك إن مواقفك وكتاباتك تضعك في موضع الخطر، إن ما أسمعه أحيانا بخصوصك أنك تمثلين الشيطان بالنسبة للمتطرفين، أنك امرأة يجب تصفيتها أنا خائفة عليك والأصوليون موجودون هنا أيضا"[19]. وقد تعرضت سيارتها للحرق أمام منزلها عند صدور روايتها الأولى، ولكنها لم تأبه لتهديداتهم وواصلت مسيرة الكفاح بالقلم برباطة جأش غير معهودة وكتبت العديد من الروايات عن الجزائر.

أرعبت ثورة البطلة وشجاعتها المتطرفين واعتبروها شخصا خطيرا يجب تصفيته، فالواقع المزري لم يمنعها من الحلم والجهاد بالقلم والوقوف بجانب وطنها في ذروة أزمته، فأنثى الصحراء التي عانت من التقاليد البالية وكادت تحرم من التعليم والعمل لأنها أنثى أصبحت تمثل هاجسا للمتطرفين الأصوليين بسبب كتاباتها وهجومها الحاد عليهم، فالأمل والحلم مع الكتابة يمدانها بالقوة والتحدي والصبر، ويمنحانها القدرة على التعبير عما يعانيه الوطن وأبناء الوطن وسعت إلى تمزيق الهالة المزيفة التي تحيط بالانتهازيين، وإسقاط الأقنعة التي يختبئون وراءها، في محاولة منهم لتلميع صورهم واعتلاء المناصب واغتصاب خيرات الشعب بغير وجه حق: "إن هذان الشجاعان والقادران في أمكنة أخري على التسلق في أقنعة جديرة بالاحترام ينصبان قطاعات في الجزائر"[20]،فقد أصبح الوطن يعني لهم مجرد شعارات جوفاء، وشيئا شكليا لا يرقي إلى درجة التقديس والاحترام، وهذا ما غيب القوانين التي تكفل حقوق الإنسان وتحفظ إنسانيته.

فالتخلي عن الأصل والجذور يعني سهولة استنساخ هوية بديلة وجديدة تجعل من الفرد تائها وضعيفا أمام المستجدات الحاصلة في الوطن، ولكن ما قدمته البطلة للوطن أبان العكس وكشف عن شخصية وطنية بامتياز فقد حاولت إيصال قضية الجزائر إلى كافة أنحاء العالم عن طريق الكتابة، ومثلته أحسن تمثيل، عكس ما اعتقده الجميع عنها، فالواقع المأزوم المهزوم في الوطن لم يمنعها من الحلم، فالفتاة الصحراوية التي عانت من التقاليد البالية وكادت تحرم من التعليم والعمل كونها أنثى، وعانت من جراح الغربة، وعاشت تجارب الاغتراب المختلفة، فهي وإن لجأت إلى فرنسا بلاد الغربة بإرادتها بحثا عن هوية ضائعة وتخلت عن وطن همش الأنثى وأقصاها، إلا أنها لم تستطع التماهي مع الآخر وإن خضعت له ظاهريا فقط، ظل حب الجزائر محفورا بأعماقها وظلت متشبثة بجزائريتها إلى آخر لحظة.

ثانيا: الحالات والتحولات النفسية والاجتماعية لأنثى الصحراء من خلال رواية المتمردة :

جسدت رواية المتمردة الحالات والتحولات التي عاشتها الشخصية البطلة، وهي تمس المرأة العربية وعلاقاتها الاجتماعية، ومواقفها النفسية، وحريتها العقدية والفكرية، في عالم تهيمن عليه السلطة الأبوية الذكورية منذ الأزل في فضاء منعزل قصي، ثم انتقالها إلى مجتمع الصقيع والضباب والحريات، لكنها لم تجد ذاتها لا هنا ولا هناك، فلا هي استطاعت بتمردها أن تكسر القيود التي كبلت روحها في صحرائها ولا هي حصلت على

التميز والتفوق ووجدت ذاتها في بلاد الغربة، فوقعت في استلاب واندحار روحي وفكري واجتماعي ونفسي رهيب، وبين المجتمعين ضاعت ولم تجد نفسها.

وتعرض لنا رواية "المتمردة" أهم الحالات النفسية والتحولات الاجتماعية التي عاشتها البطلة خلال رحلة التمرد من الهامش إلى المركز:

2-1 القلق:

معظم الروائيات والكاتبات العربيات يقلن بأن الكتابة هي خلاصهن من الضغط النفسي والاجتماعي الذي يعشنه، لأنها تخرجهن من المحاكمة الاجتماعية والإدانة والسيطرة والرقابة التي تمثلها البيئة المحيطة بهن، كونها تمارس سرا لا جهرا مثلها مثل باقي الفنون التعبيرية الأخرى، ولأن الكاتبة امرأة فستعرف معنى الخوف والقلق لأنها تخشى ردة فعل أهلها فسيقرأ الأب، الزوج، الأخ، وستحاسب على كتاباتها وهي من انتزعت حقها في الحياة والبقاء بفضل الكتابة، التي أبعدتها عن جدران المنزل وسجن الأعراف والعادات والتقاليد، وفسحت أمامها مساحة جديدة للبوح والتعبير عن شعورها ووعيها، وأحلامها وآلامها وطموحاتها وتطلعاتها ككائن له الحق في الحلم والحياة والبقاء.

والشيء المؤكد أن الضغط والقهر والاضطهاد الذي يمارس على المرأة يتفجر في شكل صور من التمرد والغضب، وكذلك القلق الذي يعبر في كثير من الأحيان عن "حالة من عدم الارتياح والتوتر الشديد الناتج عن حيرة انفعالية غير سارة يعاني منها الفرد عندما يشعر بخوف أو تهديد دون أن يعرف السبب الواضح لها"[21]، وقد جسدت لنا الروائية حالة القلق التي تعيشها بطلة الرواية في عدم شعورها بالارتياح وإحساسها الدائم بالضياع والاضطراب، بسبب الأحداث التي عاشتها والمتعلقة بالوطن والعائلة وتجربة الغربة والزواج ثم الطلاق والوحدة من جديد، وأعراض القلق تتطور عند البطلة وتظهر في أشكال كثيرة ومتنوعة، تقول البطلة: "ريح الطرمنطان (*) قوية هذا المساء والكحول والمهدئات، ومأساة البلد (.....) هذا الصمت الهائل في أعماقي"[22] تغرق البطلة في أفكار مبهمة ترفض أن تتوضح لها، تحتسي الكحول والمهدئات من شدة القلق الذي حاصرها وأخذ منها ليلها ونومها وسلب راحة بالها.

وقلق البطلة هو ردة فعل طبيعية للضغط الذي تعانيه في حياتها، وقد ساعدها في التعامل مع الأوضاع الصعبة المحيطة بها سواء في المنزل أو المدرسة أو العالم المحيط بها "فالقلق أو الحصر ANSCIETY انفعال مركب من الخوف وتوقع الشر والخطر أو العقاب"[23]، وقد يرتبط القلق في كثير من الأحيان بالحياة وأسباب العيش والاضطرابات العقلية، أو ببعض الأدوية والكحول والمؤثرات العقلية، والتعب والإرهاق العصبي والشعور بالنقص في القدرات المهنية، فالسلوك الإنساني مدفوع دائما بحاجات معينة من شأنها أن تثير توتر الفرد مما يدفع به إلى مواقف تزيد حيرته وتزعزع استقراره، و تزرع بداخله الإحساس بالتهديد والقلق والخوف، ويتحول كل فعل أو مشهد في الحياة إلى نوع من القلق الذي يفسد على الشخص جمالية الحياة، فتقول البطلة في الرواية:

"ليس العطش سوي لحظة الصحو من القلق الطويل الذي ينتهي به الأمر إلى إخراجي من تحت غطائي في أي ساعة من الليل"[24].

إن إحساس البطلة بالعطش ما هو إلا ذريعة من أجل انتشال نفسها من دوامة القلق الطويل الذي سيطر عليها، محاولا إخراجها من تحت غطائها الدافئ في أي ساعة من الليل، وهكذا تلجا البطلة إلى تصوير حالة الشجن الذي تعيشه، من خلال التفكير الدائم والقلق المستبد الذي يأخذها إلى عالم الحزن والأوهام بعد اصطدامها بواقع قاسي ومرير، فالعزلة تلاحقها في كل مكان وزمان، فهي تشعر بالوحدة والاغتراب وعدم الراحة، تقول: "القطيعة والهجران لكن القطيعة تتباهى بسحرها الذي لا يخطر بالبال، إنها تلبس الألم واليأس لبوس الخلاص وتلهيها الرغبة"[25].

أبدعت الكاتبة في وصف العزلة والوحدة التي تعاني منها بطلة الرواية، وهو وصف مشبع بالقهر والحزن والألم والعذاب والحرمان المتولد عن القلق الشديد من كل ما هو موجود، فهناك العديد من الأسئلة التي تحاصر الذاكرة عن المصير المجهول، وعن الكتابة، وعن الماضي الأليم، فتزداد حسرة واكتئابا، وتنهال عليها الأسئلة الوجودية التي تضيّق عليها الخناق، فلابد من تجاوز هذه الأسئلة وقوانينها الصارمة المجحفة، تقول البطلة بحيرة شديدة وبكثير من الدهشة: "هل هذه عادة مني كمغتربة، وكمريضة بالأرق أن أحكي قصصا وحكايات؟ وهل هذا خوفا من أن أضيع "[26] ، إذ تعيش البطلة حالة نفسية شديدة التعقيد، فهي إنسانة مستلبة فكريا ومقيدة وجدانيا، أرقها الوطن (الصحراء) وأحرقتها الغربة (المدينة) وتاهت بوصلتها، وضاعت في بحار من القلق والقهر وأصبحت تعيش اللاإنتماء والاغتراب بمعناه الحقيقي فلا هي تنتمي إلى "الهنا" ولا إلى "الهناك" . حسب تعبير البطلة -.

2-2 الخوف:

يدخل الخوف في أغلب الاضطرابات الانفعالية والانحرافية والعصبية والسلوكية والاجتماعية، والتي تجلت في الرواية بكل وضوح، وخاصة في الحالة النفسية التي تعيشها البطلة، هذا الخوف الذي يتجسد في الخوف من المجتمع والدين والأعراف والعادات والتقاليد، وهو "انفعال قوي غير سار ينتج عن الإحساس بوجود خطر أو توقع حدوثه"[27]، إذ ترى البطلة أن الدين الإسلامي هو سبب تخلف المجتمع بسبب المبادئ التي يقرها والقوانين التي يشرعها والتي تحمل في طياتها ظلما كبيرا للأنثى رغم أنها تنحدر من عائلة مسلمة وبلد مسلم.

وهي تكفر بالسلطة الأبوية الذكورية المتغطرسة، وتعيش حالة من الخوف والرهاب العنيف، هائمة على وجهها في بلاد الغربة، تفر من قدر إلى قدر أقسى، تتمرد على قالب الأنوثة والتقاليد، وتعلن عصيانها للشرائع وولائها للحرية، والكتابة بالنسبة لها رغبة في البوح والخروج من الصمت الحارق والكبت القاتل، والمسكوت عنه في المجتمعين المنغلق والمتحرر، وقد مثل صوت بطلة الرواية الخوف والغضب والحقد والبغض والنفور، إنه صرخة امرأة مثقلة بهزائم الماضي والحاضر، وممزقة بين هنا وهناك، تصر على خوض الصراع دون كلل أو ملل بحدة وقوة وبدون استسلام.

ويعد الخوف بمثابة إحساس الشخص الذي يواجه الخطر أو يشعر بقدومه، وهو فعل طبيعي في مثل هذه الحالات وله درجات متعددة ومتفاوتة كالهلع، والرعب، والحذر، والقلق، ورغم كل هذا الخوف الذي اعترى كيان البطلة إلا أنها كانت جريئة أمام الظلم والوحدة والتمييز والتحريم، وقد عبرت عنه بقولها: "إنها تتجاوز الخوف وكل أنواع الخوف"[28]، وتجاوزت ما يسمى بعقدة الخوف الذي حاول أن يلبسها لباس اليأس والألم والحزن، وحاولت الخلاص منه بكل السبل وناقشت قضايا عديدة متعلقة بها وبالأسرة، وعبرت عنها أصدق تعبير، وعرجت على ذكرياتها المريرة في ليلها الطويل الذي يشعرها بالأرق والخوف والحزن والكآبة والهلع.

إلى جانب خوفها من المستقبل المجهول الذي يبدو لها مظلما وكئيبا فوق هذه الرمال الحارقة والبيداء المظللة والمظلة، فتتساءل بحرقة في القلب وغصة في الحلق: "فهل هنا يتجذر الأرق الذي سيعلن سطوته بمجرد بلوغ سن البلوغ في هذا المكان الخانق بصرامة التقاليد"[29]، هنا يتجلى خوف بطلة الرواية من المستقبل الذي ينتظرها عند بلوغها، فهي تواجه صراعا داخليا بسبب الواقع المظلم من الذي تعيشه في صحراء الجزائر، وتحاول جاهدة تخطي هذا الجانب الذي أنهكها، ورأب ذلك الصدع الذي أحدثه أسرتها بداخلها عن طريق القراءة ومطالعة الكتب، رغم محاولة عائلتها ثنيها عن عزمها وإبعادها عن الكتاب، تقول: "كافحت عائلتي ضد شرهي نحو الكتب"[30].

عاشت البطلة طفولة بائسة وكان حضن جدتها هو الملجأ الوحيد لها، ومنذ صغرها كانت تشعر بحاجة إلى التمرد على ذلك الوضع وحصولها على الحرية، وذلك لا يتأتى لها إلا من خلال الدراسة، فهي البوابة والمتنفس لها للخروج بها من الوضع الأسري الخانق، المنغلق، والمتعصب الذي تعيش بداخله، والتحرر من ربقة حكم العادات والتقاليد التي تؤيدها حينا وترفضها حينا آخر، فتقول: "وأما من ناحية فقد لحنت دائما ضد التقاليد، التحم بها حين ترتعش من المشاعر وتغذي العقل وتثري الذاكرة، وأواجهها وأطلّقها حين تتجمد في محظورات وتنتصب كالسجن"[31].

لقد سعت البطلة في الرواية إلى كسر قيود التبعية للعادات والتقاليد وللرجل/ الذكر، وتحرير أنوثتها التي تراها مجروحة وضعيفة، وتشعر بالضياع وسط أسرة محافظة يشوبها الارتباك ضد كل ما متعلق بالأنثى، إنها كما تقول: "صلابة صنعتها قرون من التقاليد الشفاهية في خدمة إلاه واحد، ولكن تواضعهما تحول إلى تشدد أمام كل خوف من الانشقاق وخصوصا إزاء الفتيات"[32].

تكشف البطلة عن طريقة تفكير المجتمع العربي بصفة عامة والصحراوي بصفة خاصة تجاه الأنثى، وخوفه من حصولها على حريتها وشق عصا الطاعة في يده، والانشقاق عن العائلة، ووسط هذه الظروف القاهرة المفروضة عليها تعترف أن والدها لم يعرف القراءة ولا الكتابة، أي أن الجهل هو المحرك الأساسي وراء ردود أفعاله، وهذه النظرة للآخر - الأب- قضت على كل المشاعر الجميلة التي تعطي معنى للحياة ويخنق أي إحساس جميل إزاء الوجود ويطفئ أنوار الآمل بداخلها، وجاءت لغتها حادة كلها قهر وضياع وخوف من ضغط

العادات الاجتماعية والتقاليد والشرع والدين، وهذا ما دفع بها إلى المبالغة في رسم صورة قاتمة عن المرأة في نظر الرجل.

3-2 الغضب:

يعتبر الغضب من بين الحالات الانفعالية التي يلجا إليها الشخص في حالة شعوره بالكره أو الاضطراب والقلق والاحتقار، وقد كان هذا الدافع الذي جعل من الروائية تجسده في صور كثيرة ومتعددة داخل الرواية، حيث يتجلى بوضوح تجاه كل ما حولها في المجتمع الجزائري، وخاصة في الصحراء موطن وجودها وعيشها، فالغضب "استجابة انفعالية تتميز بالحدة والتوتر وتشتمل على مشاعر الكراهية والعداء، وهذه الاستجابة الانفعالية تصاحب العديد من مواقف الحياة اليومية التي من شأنها كف إحدى نشاطاته أو منح أحد أو بعض دوافعه من الإرضاء أو شعور الإنسان بأنه عتب أو ظلم أو تعرض للهوان"[33].

فالغضب هو تغير يحصل للشخص ينتج غنه غليان دم القلب وزيادة في معدل ضرباته، حيث يعتبر استجابة سريعة من المخ لتهديد محتمل من قبل الآخر، ويصبح من الضروري اتخاذ الإجراءات اللازمة التي من شأنها وقف القوى الخارجية وسلوك التهديد الذي يواجه الإنسان، ويظهر الغضب الخارجي من خلال الوجه وحركات الجسد والتصرفات الأخرى، ويتمظهر في رواية "المتمردة" من خلال قولها: "أكتب أسود صفحاتي كتابة غاضبة، كنت سأموت لو لم ألجأ إلى الكتابة"[34].

وقد تجلت ظاهرة الغضب في الرواية من خلال لغة الكتابة، فبدت حروفها قاسية ثائرة يلفها الغضب، والنظرة السوداوية والمأساوية للحياة والمستقبل، وحالة الضجر والتململ والاضطراب التي تعاني منهم داخل الأسرة والمدرسة والمحيط الذي تعيش فيه، وهذه العقدة أخذت تكبر مع البطلة وازدادت تعقيدا متخذة منعطفا آخر داخل الأسرة التي فرضت عليها حضر التجول داخل المنزل في ساعات متأخرة من الليل، وأخذت والدتها تهددها ووالدها يشتمها، تقول: "شتائم وتهديدات من كل نوع ترافقني منذ طفولتي، وقد دفعتني دائما إلى أن أقاومها(....) اخرسي ونامي أيتها الأفعى(....) من الآن فصاعدا ستنامين هنا ولن تستيقظي أبدا في الليل، فالجنود المظليون موجودون في كل مكان في سواد الليل، يقومون بالسرقة وباغتصاب الفتيات اللواتي لا نعثر عليهن أبد، فهل رأيت كيف تقوم مدافعهم (الهاون) بخرق الكثبان الرملية؟ وهل رأيت كيف يقومون بممارسة العنف حتى على الرجال؟"[35]. وهذا الكلام العنيف علّم في روحها وعقلها الصغير

وهذا ما يفصح عن الخلل في العلاقة الأسرية والصدام القائم بين الأهل والأبناء وغياب الثقة، فكل من حولها يحاول أن يقيدها ويقيد حريتها داخل وخارج المنزل، ومن الصعب تحرير هذه الطفولة البئيسة من الأوهام التي فرضت عليها، ومن العيش التقليدي الشرقي عامة، وهذا التصرف والتفكك داخل الأسر في أغلب الأحيان ينتج عنه غياب لوعي الطفل، والشعور بالتفرقة والخوف والغضب في أغلب الأحيان، وعدم وجود للتفاهم والانسجام بين أفراد الأسرة، تقول البطلة: "أمي تنظر بقلق إلى الفتنة التي تمارسها عليها جدتي وهي تخلص من الأوامر "[36]، فرغم صغر سن البطلة إلا أنها على علم تام بكل ما يدور حولها من تصرفات تخص الأم والجدة،

وغضب الأم من لجوء البطلة إلى جدتها التي تجد في حضنها موطنا للأمن والأمان جعلها تزداد حقدا وتمردا على والدتها التي لم تفهمها يوما

أضحت البطلة طفلة متمردة تستمد قوتها من وجود "الجدة "التي تمنحها الدفء والحنان، فحالة التمرد والعصيان التي تعيشها تمتد جذورها إلى الأسرة التقليدية أولا والمجتمع الرجعي المنغلق الذي وقر في نفسه ويترسخ في ذهنه فكرة أن السب والشتم وإذلال المرأة هي الطريقة الصحيحة والمنتهجة في تربيتها، تقول البطلة: "أمي تنظر بقلق إلى الفتنة التي تمارسها عليّ جدتي، إنها لا تحب أن ترى حماية جدتي وهي تخلصني من الأوامر وتحميني من غضبها، إنها تخشى أن يفسد حنوها من طبعي، الذي بدت عليه أثار التعنت والجموح، كانت تتمنى لو أنها وجدت في حمايتها حليفة لتهذيبي ولتنقيح خشونتي وفضاضة طبعي"[37]، فتمرد الطفل في البدايات الأولى يعتبر من الظواهر المألوفة داخل الأسرة وذلك من أجل إثبات نفسه أمام الوالدين، فالترسبات التي بقيت عالقة في ذهن البطلة من طفولتها زادتها شغفا بالحرية وهذا ما جعلها تختار زوجا لها من بلد الحرية فرنسا، ولكن هذا الزواج حكم عليه بالفشل لأنها وجدت في زوجها منافسا لها في الكتابة، وكان من الأفضل أن يغادر أحدهما المنزل، لذلك خاطبته بنبرة مليئة بالغضب والحدة قائلة: "إذن من فضلك، نفذ قرارك فورا الآن أريد أن تغادر حالا"[38] ، وغادر "جان لويس" الزوج المنزل تاركا البطلة تغرق في الوحدة وكؤوس "الويسكي" التي تهرب إليها من فضاعة الواقع، لتخفف عنها جزءا من الكآبة التي أصبحت ملازمة لها.

على الرغم من حب البطلة لزوجها إلا أنها تركته من أجل الكتابة والقراءة وكانت قد تخلت قبله عن مهنة الطب التي أحبتها وحاربت من أجلها العالم بأسره، ولكن لما أحست أن الطب سيأخذها من الكتابة لم تتأخر لحظة واحدة في التخلي عنه والاكتفاء بالحروف واللغة بديلا عنه، فلما تأكدت البطلة من أن زوجها "جان لويس" أصبح يغار من نجاحها ابتعدت عنه بكامل إرادتها، فهي ترفض الرجل الذي يحاول سلبها عالمها الخاص بها، لذلك رأت أن الانفصال الحل الأمثل للقضاء على الخلافات التي تنغص عليهما لذة الحياة، ولكنها لم تشعر بالارتياح بعد طلاقها وحصولها على حريتها، فقد مثل لها يوما ما السند والفرج في غربتها وكان أكثر شخص دعمها واحترم كيانها واعترف بوجودها وقدّر نجاحها، ولم يشعرها بالدونية وأنها أقل منه شأنا.

4-2 الحب:

يمثل الحب أحد أهم عناصر الرواية بصفة عامة والرواية النسائية بوجه الخصوص، وعند خلو العمل الفني منه يفقد بريقه ويقل تشويقه ونسبة مقروئيته، ومما لاشك فيه أن الحب في الرواية النسائية مثّل أحد نقاط المعاناة لدى المرأة التي تحاصرها القيود الاجتماعية والعادات والمجتمع الذكوري، الذي يكبح رغباتها وتطلعاتها ويجعلها لا تجرأ على الاعتراف بحبها أو إعجابها، فتتركه حبيس ذاتها بعيدا عن المجتمع وجوره، ولكن بطلة "رواية المتمردة" كسرت أفق توقع المجتمع وحاربت من أجله، حيث تقول: "كيف يتأتى لرجل واحد أن يكون الحب والعاشق والصديق والأخ والأب والأم؟ قبيلة كاملة لوحده؟ لقد كان "جان لويس"كل هذا "[39]، فقد اعتبرت البطلة أن "جان لويس" كل شيء في حياتها بعد اغترابها عن بلدها في صحراء الجزائر، وانفصالها عن

أهلها الذين رفضوا ارتباطها به وفضلت الهجرة إلى فرنسا من أجل حريتها وعملها، وكذلك من أجل الشخص الذي تحبه فهي تقول: "قدمت إلى فرنسا 1977 من أجله"[40].

هجرت البطلة الأهل والوطن وحاربتهم من أجل أن تكون مع "جون لويس" الفرنسي، على الرغم من أن هذا الحب لم يصمد أمام عواصف الحياة، فقد أصبح يشكل خطرا على حريتها والمساحة الخاصة بها، التي لطالما حاربت من أجلها وعانت من ويلات الفقر والظلم كي تنالها بشتي الطرق والوسائل ""فعلى الرغم من كل ما قيل عن إلغاء ذات المحب في ذات المحبوب والتنازل عن أنانيتها، فإن فهناك حدا يمكن لهذه الذات أن تستعيد فيهاها الشعور بأناها إزاء ما تلقى من حيف واستبداد من طرف المحبوب، وقد لا نعدم تلك الاعتراضات التي تكون نتيجة تذمر المحب من سوء فعل المحبوب"[41].

إذ ترى البطلة في زوجها حجرة عثرة أمام إرادتها واختارت الهجران والفراق من أجل إكمال مسيرتها، وعلاقة الحب بين البطلة وزوجها لم تكن على درجة من الثقة والمتانة من أجل الوصول لنهاية سعيدة، فحبها وشغفها بالكتابة - التي رفعتها إلى المرتبة الأولى في حياتها- جعلها تتخلي عن كل شيء في سبيلها "ها أنا أفترق عن الرجل الذي أحب لأنه هو الذي يختنق من رؤية الجسد والعقل المتواطئين مع الكتابة"[42].

أصبح زوج البطلة ناقما على الكتابة فهو يري أنها تأخذ منه حبيبته ويبقى هو جانبا خارج مدار اهتمامها، فالكتابة كانت سببا للعداء بينهما رغم أن زوجها كان متفتحا ومتفهما لوضعها وبعيد كل البعد عن العادات والتقاليد التي عانت منها في مجتمعها، وكان أيضا بعيدا عن التمييز والعنصرية التي وجدتها في فرنسا، إلا أن انشغالها بالكتابة كان حاجزا بينهما، فالبطلة ترى أن الرجال لا يستطيعون رؤية امرأة يكون همها وانشغالها بعيدا عن الاهتمام به، وخاصة إذا كان إبداع أو فن الكتابة، تقول: "الرجال لا يتحملون امرأة تمارس الكتابة"[43]، فالرجل الذي يحب زجته كثيرا يصبح غيورا عليها من أي شيء حتى ولو كان الكتابة، فيغضب ويسعي لانتزاعها من عالمها ولفت انتباهها.

ولكن البطلة مارست حريتها وتعطشها للكتابة ورفضت التخلي عنها بعد أن تحصلت عليها بشق الأنفس، فكيف تسلم فيها بسهولة؟ فلا أحد يستحق أن تضحي من أجله بها، ولو كان هذا الشخص زوجها وحبيبها، لذلك تمردت على قيوده المتمثلة في الغيرة الشديدة أيضا، فشعورها القوي بأنه يحاول انتزاع حبها للكتابة ويريد إبعادها عنها، جعلها تتنازل عن زوجها وتري الفراق أنسب حل لتواصل مسيرتها، وفي هذا السياق ترى البطلة أن "الحب والنساء والرجال لا يوجد إلا في الأغاني والحكايات والكتب"[44].

تنفي البطلة وجود الحب بين النساء والرجال وأنه لا يوجد إلا في الأفلام والمسلسلات و الأغاني والقصص والحكايات، وقصتها فشلت حالها كحال معظم قصص الحب بين الشخصيات الروائية، فحتى سعادتها التي بلغتها مع زوجها الفرنسي "جون لويس" لم تدم طويلا، لتنهار حياتها الزوجية في بلاد الحرية فرنسا كما انهارت حياتها الأسرية في الصحراء في بلادها وانقطعت حبال الود والوصال بينها وبين زوجها كما انقطعت سابقا بينها وبين والدها.

خاتمة

وفي ختام بحثنا هذا نقول أن رواية "المتمردة" للكاتبة الجزائرية المغتربة "مليكة مقدم" قدمت لنا نموذجا عن المرأة العربية المكافحة والمناهضة لقوى الظلم داخل المجتمعات الذكورية المستبدة والمسيطرة، وأثبتت أنها أنثى عربية جزائرية مغتربة قدمت من قلب الصحراء (مجتمع الهامش) الذي يمثل المجتمع المنغلق الذي يرفض الاعتراف بصوت الأنثى ووجودها، ووصلت إلى المجتمع المتمدن (المركز) بعد رحلة معاناة وتمرد وكسر للحواجز التي وضعها المجتمع في طريقها لتتمكن في الأخير من فرض وجودها وإثبات ذاتها.

هوامش وإحالات المقال

1 - ياسمين يحي: حرية المرأة في مفهوم العرب، حقوق المرأة في كافة المجالات، جريدة الحوار المتمدن،1-4-2009 .

2 - مليكة مقدم: المتمردة ،تر: محمد المزبودي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب،ط1، 2004، ص 43.

3 - إزابة برلين: الحرية، تر: معين الإمام ،منشورات دار الكتاب، بيروت، لبنان، دط، 2013، ص 241.

4 - مليكة مقدم : المتمردة، ص 14.

5 - المصدر نفسه، ص 19.

6 - سامية إدريس: الروائيات الجزائريات وخصوصية الكتابة النسوية ذات التعبير الفرنسي، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، مخبر تحليل الخطاب، المجلد2013، لعدد15، جوان 2013، ص 114.

7 - مليكة مقدم، المتمردة ، ص 112.

8 - المصدر نفسه، ص 112.

9 - المصدر نفسه، ص 55.

10 - المصدر نفسه، ص 55.

11 - المصدر نفسه، ص 24 .

12 - المصدر نفسه، ص62.

13 - المصدر نفسه، ص 64.

14 - المصدر نفسه، ص 63.

15 - المصدر نفسه، ص 11 .

16 - المصدر نفسه، ص19.

17 - المصدر نفسه، ص 29.

18 - المصدر نفسه، ص 29.

19 - المصدر نفسه، ص 29.

20 - المصدر نفسه، ص 74.

21 - المصدر نفسه، ص85.

22- جمال مثقال القاسم، ماجدة العيد وآخرون: الاضطرابات السلوكية ،دار الصفاء للنشر، عمان، الأردن،ط1 ،2001 ،ص 147.

23- مليكة مقدم ، المتمردة، ص 10.

24 - أحمد عزت رابح: أصول علم النفس، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، الاسكندرية ،القاهرة ، ط7، 1988، ص 493.

25 - مليكة مقدم ، المتمردة، ص 12.

26- المصدر نفسه، ص 12.

27 - المصدر نفسه، ص 21.

28 - -عبد العزيز ابراهيم سليم: المشكلات النفسية والسلوكية لدى الأطفال، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن ،ط1 ،2011 ، ص 271.

29 - مليكة مقدم، المتمردة، ص 12 .

30 - المصدر نفسه، ص 19.

31 - المصدر نفسه، ص 18.

32- المصدر نفسه، ص 18.

33 - محمد شحاتة ربيع :علم النفس الاجتماعي، دار المسيرة ،عمان ، الأردن ،ط1 ،2011 ،ص 167 .

34 - مليكة مقدم، المتمردة، ص 29.

35 - المصدر نفسه ، ص25.

36 - المصدر نفسه، ص 24.

37 - المصدر نفسه، ص 24.

38 - المصدر نفسه، 18.

39 - المصدر نفسه، ص17.

40 - المصدر نفسه، ص104.

41- جابر خضير جبر: المرأة والسلطة ،قراءات في الموروث النقدي، مجلة واسط للعلوم الإنسانية ،كلية الآداب، جامعة البصرة ، العدد 19،2012، ص 413.

42 - مليكة مقدم، المتمردة، ص18.

43 - المصدر نفسه، ص 19.

44 - المصدر نفسه، ص 19.

قائمة المصادروالمراجع:

أ- المصادر:

1- مليكة مقدم: المتمردة، تر: محمد المزديوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004.

ب - المراجع:

1- أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، الاسكندرية، القاهرة، ط7، 1998.

2- إزاية برلين: الحرية، تر: معين الإمام، منشورات دار الكتاب، بيروت، لبنان، دط، 2013.

3- جمال مثقال القاسم، ماجدة العيد، وآخرون، الاضطرابات السلوكية، دار الصفاء للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2001.

4- جابر خضير جبر: المرأة والسلطة، قراءة في الموروث النقدي، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، كلية الآداب، العدد 19، 2012

5- سامية إدريس: الروائيات الجزائريات وخصوصية الكتابة النسوية ذات التعبير الفرنسي، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، مخبر تحليل الخطاب، المجلد2013، لعدد15، جوان 2013.

6- عبد العزيز إبراهيم سليم: المشكلات النفسية والسلوكية لدى الأطفال: دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2011.

7- محمد شحاتة ربيع، علم النفس الاجتماعي، دار الميسرة، عمان، الأردن، ط1، 2011.

8- ياسمين يحي: حرية المرأة في مفهوم العرب، حقوق المرأة الكاملة في كافة المجالات، جريدة الحوار المتمدن: 2009.04.01.